



بعد تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، وقد كانت قبل باتجاه بيت المقدس، بعد ذلك قامت حملة دعائية من السفهاء من اليهود والمشركين والمنافقين، وجدوها فرصة للتشويش والمغالطات، فقالت اليهود عن الرسول صلى الله عليه وسلم: خالف قبلة الأنبياء، ولو كان نبئاً لصلى إلى قبلة الأنبياء. وقال المشركون: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وقال المنافقون: إن كانت الصلاة الأولى إلى بيت المقدس حقاً فقد تركها وإن كانت التالية هي الحق فقد كان على باطل، وقالوا: كل يوم يأتيانا بجديد، قال تعالى: (سيقول السفهاء من الناس ما ولهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

كان الشغب قوياً حتى إن بعض المسلمين خافوا أن يبطل أجر الصلاة التي صلوها إلى بيت المقدس فأنزل الله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وأمام هذا الاستغلال للحادثة وتضخيمها لأغراض في أنفسهم من المنافقين واليهود أراد الله سبحانه أن يبين للناس وللمسلمين السبيل الصحيح في النظر وتقويم الأشياء ومعرفة المهم والأهم والأساس والفرع، فليس البر كما يزعم اليهود هو مجرد التوجّه إلى بيت المقدس والقلوب خاوية، والقلوب قاسية ولا التزام بما جاءت به الأنبياء ولكن البر هو التوجّه الخالص إلى الله سبحانه سواء كان للمشرق أو المغرب (فلله المشرق والمغارب) (أينما تولوا فثم وجه الله) وتحويل القبلة إلى المسجد الحرام يجب لا يشغل المسلمين عن الأصول الاعتقادية والعملية التي يجب أن يقوموا بها ويتمسّكون بها، فما هذا التحويل إلا شعبة من جملة الشعب وحصلة واحدة من الخصال، وإنما البر الجامع لحصلالخير كلها في معاملة المخلوق وعبادة الخالق وتزكية الأخلاق هو كما قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُؤْلِمُ وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمُشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَةَ وَالْمُؤْمِنُ بِعِهْدِهِ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُلْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبُلْسَاءِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).

وبمناسبة هذه الحادثة أراد الله سبحانه أن يوجه المسلمين إلى البناء القوي لأنفسهم ومجتمعهم، فبدأ بإرساء الأساس وبعد ذلك يكون إقامة البنيان، والأساس هو الإيمان بالله والإيمان بالآخر والإيمان بالملائكة والكتب والنبيين الذين من خاللهم تصل الشرائع والتوجيهات إلى البشرية، وهذا الإيمان يجب أن ينتج آثاره الإيجابية من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإنفاق المال

لذوي القربى واليتامى والمساكين، ومن آثاره الوفاء بالعهود والوعود والصبر في البأس والضراء وحين البأس. وهذه الصفات هي التي تجعل صاحبها مستحفاً لأن يوصف بالصدق والتقوى.

إنه لا يكفي التوجه الظاهري والأشكال الظاهرية إن لم يكن معها المشاعر القلبية الطاهرة السليمة، ولا يكفي أن يؤتى ثماره فردياً بل لا بد أن يتسع أثره ليشمل كل المجتمع، هذا هو البر الذي يربى ضمير الأمة وينظم مجتمعها ويوجه مشاعرها نحو الخالق المع العود، وقد أكد القرآن الكريم على هذه التربية وهذا السلوك في موضع آخر فقال تعالى: **(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجَ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتُؤْنَونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** فالهجرة والجهاد ومقاومة الطالمين هي في موضع أعلى من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وإن إقامة العدل بين الناس هو عبادة أيضاً من أعظم العبادات، كما أن الظلم من أعظم المنكرات.

لقد انتظمت في آية البر أصول الدعوة بشطريها النظري والعملي وهذه هي التربية الإسلامية التي تحقق الغاية من وجود الإنسان.

المصادر: